

التبيان في تفسير القرآن

(231) قوله تعالى: ولو شاء ا^ا ما أشركوا وما جعلناك عليهم حفيظا وما أنت عليهم بوكيل (107) آية. ان قيل: كيف قال تعالى " ولو شاء ا^ا ما أشركوا " والمشئنة لاتتعلق الا بفعل يصح حدوثه، ولاتتعلق بأن لا يكون الشئ؟ ! قلنا: التقدير لو شاء ا^ا ان يكونوا على غير الشرك قسرا ما أشركوا فمتعلق المشئنة محذوف، فمراد هذه المشئنة حالهم التي تنافي الشرك قسرا بالاقطاع عن الشرك عجزا او منعا أو الجاء. وانما لا يشاء ا^ا هذه الحال لانها تنافي التكليف. وانما لم يمنع العاصي من المعصية لانه انما اتى بها من قبل نفسه، وا^ا تعالى فعل به جميع ما فعل بالمطيع من اراحة العلة، فاذا لم يطع وعصى كانت الحجة عليه. وربما كان في بقائه لطف للمؤمن فيجب تبقيته وليس لاحد ان يقول الاية دالة على انه تعالى لم يرد هدايتهم لانه لو أراد ذلك لاهتدوا، وذلك أنه لو لم يرد أن يهتدوا لم يكونوا عصاة بمخالفة الاهتداء، لان المعاصي هو الذي خالف ما أريد منه ولما صح أمرهم أيضا بالاهتداء. والفرق بين الحفيظ والوكيل هو أن الحفيظ يحفظهم من أن يزلوا بمنعه لهم، والوكيل القيم بأموارهم في مصالحهم لدينهم أو دنياهم حتى يلفظ لهم في تناول ما يجب عليهم، فليس بحفيظ في ذاك ولا وكيل في هذا، فذلك قال تعالى: انه لم يجعل نبيه حفيظا ولا جعله وكلا عليهم، بل ا^ا تعالى هو الرقيب الحافظ عليهم والمتكفل بأرزاقهم. وانما النبي (صلى ا^ا عليه وآله) مبلغ منذر ومخوف. وقيل: ان ذلك كان بمكة قبل أن يؤمر بالقتال.